مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

# ثنائية المركز والهامش في رواية "المنبوذ" لعبد الله زايد دراسة في ضوء المنهج البنيوي(*)

**د/ حمد بن محمد الهزاع**
قسم اللغة العربية - جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز
المملكة العربية السعودية - كلية العلوم والدراسات الإنسانية
بحوطة بني تميم - جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

*) تاريخ تسليم البحث 5/3/2023 تاريخ قبوله للنشر 16/4/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

# ثنائية المركز والهامش في رواية "المنبوذ" لعبد الله زايد دراسة في ضوء المنهج البنيوي

**د/ حمد بن محمد الهزاع**
قسم اللغة العربية - جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز
المملكة العربية السعودية - كلية العلوم والدراسات الإنسانية
بحوطة بني تميم - جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

**ملخص**

غاصت رواية "المنبوذ" لعبد الله زايد في المجتمع السعودي قبل مرحلة الطفرة والتحول الاقتصادي؛ تلك المرحلة التي عاش فيها كثير من أبناء المجتمع في العتمة، بعيدًا عن دائرة الضوء، فعانوا الفقر والحاجة، وظلم القبيلة وعصبيتها، وفتكت بهم الأمراض والأوبئة، فأضحوا مهمشين منبوذين، وكذلك أشارت الرواية إلى تحول المجتمع من البداوة إلى الحضارة، فأصبح المجتمع في المركز، مقابل هامشية الماضي.

وهدفت الدراسة إلى بيان العلاقة الوثيقة بين المركز والهامش في الرواية، تلك العلاقة التي تقوم على التنافس بين الطرفين، إذ يسعى الهامش إلى تغيير وضعه في مقابل المركز.

وخلصت الدراسة إلى نتائج من أهمها: سيطرة المركز على الهامش بكل أنواعه الاجتماعية والسياسية والثقافية، وتجلّي ثنائية المركز والهامش ليس فقط على الشخصية، بل امتدت إلى النص الموازي، وإلى المكان والزمان.

وتجلت ثنائية المركز والهامش في البحث من خلال مركزية النص الموازي وهامشيته، وفي التعبير عن المكان بين المركز والهامش، وكذلك في تأرجح الزمن بينهما، وكان رسم الكاتب للشخصية الهامشية معتمدًا على صورة الشخصية المركزية وتأثيراتها.

**الكلمات المفتاحية:** المركز– الهامش– النص الموازي– الزمان– المكان– الشخصية.

# The duality of the center and the margin in the novel "The Untouchable" by Abdullah Zayed, a study in the light of the structural approach

**Dr. Hamad bin Mohammed Al Hazaa**
Department of Arabic Language - Prince Sattam bin Abdulaziz University
Kingdom of Saudi Arabia - College of Sciences and Humanities
Hotat Bani Tamim - Prince Sattam bin Abdulaziz University

## Abstract:

The novel "The Outcast" by Abdullah Zayed immersed itself in Saudi society before the stage of economic boom and transformation. That stage in which many members of society lived in the dark, away from the circle of light, so they suffered from poverty and need, the injustice and fanaticism of the tribe, and diseases and epidemics ravaged them, so they became marginalized and outcasts. The novel also indicates to the transformation of society from nomadism to civilization, so that society became in the center, versus marginal past.

The study aimed to demonstrate the close relationship between the center and the margin in the novel, which is based on rivalry between the two parties.

The study concluded with results: the control of the center over the margin in all its social, political and cultural types, and the manifestation of the duality of the center and the margin not only on the personality, but extended to the parallel text, and to the place and time.

The duality of the center and the margin was manifested in the research through the centrality of the parallel text and its marginality, and in the expression of the place between the center and the margin, as well as in the fluctuation of time between them, and the writer's drawing of the marginal character depended on the image of the central character and its effects.

***key words**:* Saudi novel, The center, The margin, Parallel text, Time, Place, Character.

**مقدمة:**

يتداخل مصطلح المركز والهامش في مجالات عديدة، سواء كانت سياسية، أم اقتصادية، أم اجتماعية، أم ثقافية، وتمثل ثنائية المركز والهامش ظاهرتين قويتين في حياتنا الثقافية، فتدور عجلة مؤسساتنا بين المركزي المهم، وبين الهامشي المهمل، وقد يمتلك الهامش من الطاقات التي تجعله يتفوق على المركز، مما يجعله يخاف من الهامش، ومن هنا تكمن **أهمية** هذه الثنائية في رواية "المنبوذ".

و**لأهمية** هذا الموضوع وقع **اختياري** على دراسة ثنائية المركز والهامش في رواية "المنبوذ" لعبد الله زايد، ليكون موضوعًا للبحث، يُضاف إلى ذلك عدم وجود دراسة عن الرواية، أو عن إنتاج الكاتب الأدبي.

و**تهدف** الدراسة إلى بيان العلاقة الوثيقة بين المركز والهامش، تلك العلاقة التي تتجلَّى في واقع الإنسان، فلا مركز بدون هامش، وقد تكون هذه العلاقة تقوم على التبعية، فالهامش تابع والمركز متبوع، وقد تكون العلاقة تنافسية، بحيث يحاول الهامش أن يغير من وضعة، فيتحول من الهامش إلى المركز.

ويجيب البحث عن عدد من **التساؤلات**، أهمها: ما مفهوم المركز والهامش؟، وما علاقة المركز بالهامش؟ إلى أي مدى يسهم النص الموازي في ثنائية المركز والهامش؟ ما علاقة الزمان والمكان بثنائية المركز والهامش؟ كيف شكَّل الكاتب الشخصية المركزية، والشخصية الهامشية؟

وقد اعتمد البحث على **المنهج البنيوي**، الذي يسمح للباحث كشف التقابلات بين المركز والهامش عبر الوقوف على بنية رواية "المنبوذ"، واستقصاء ثنائية المركز والهامش، وما تثيره من قضايا اجتماعية وسياسية وفكرية.

أما **الدراسات السابقة**، فلا توجد دراسة أكاديمية عن عبد الله زايد، بل ما كُتب عنه مقالات قليلة جدًّا.

وهناك بعض الدراسات عن أدب المهمشين، وثنائية المركز والهامش، من أهم هذه البحوث المنشورة في المجلات المحكمة:

١- تقنية الهامش في رواية خضر محجز "عين اسفينه" إرادة القوة، الهوية، الليبيدو، لمحمد حسونة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ٢٠١٤.

٢- المركز والهامش في رواية "حدائق الرئيس" للروائي محسن الرملي، لحوراء عزيز عليوي، مجلة كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، ٢٠٢٠.

٣- الشخصية المهمشة وتشكلات الفضاء الروائي في رواية هدى بركات "بريد الليل"، لدلال بنت بندر المالكي، مجلة علوم اللغات وآدابها، جامعة أم القرى، ٢٠٢١.

٤- صورة الهامش في الرواية السعودية وفق منظور البنيوية التكونية، لبدرية عبد الله على الفريدي، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٢٢.

وكلها بحوث تدرس التهميش الزماني والمكاني والإنساني، وعلاقة المتن بالهامش، وعلاقة المركز بالهامش، ومما لا شك فيه أن البحث سوف يفيد من هذه الدراسات، وغيرها من الدراسات التي اهتمت بدراسة ثنائية المركز والهامش.

**التمهيد:**

**أ- التعريف بالكاتب والرواية:**

عبد الله زايد مؤلف الرواية؛ كاتب وصحفي سعودي، ولد سنة ١٩٧١، عمل في الشركة السعودية للأبحاث والنشر، بجانب اهتماماته الصحفية.

صدر له:

١- الجرح الآخر المأساة الإنسانية في كشمير ١٩٩٨ (كتاب).

٢- لأنك إنسان ٢٠٠٢ (كتاب).

٣- المنبوذ ٢٠٠٦ (رواية).

٤- ليتني امرأة ٢٠٠٨ (رواية).

٥- أربع ساعات في أبو ظبي ٢٠١٣ (نصوص سردية)

٦- أنا وثلة من مرتزقة الأرض ٢٠١٤ (مقالات أدبية).

وتعالج رواية "المنبوذ" مناط البحث قضية المهمشين، وهي قضية لاقت اهتمامًا من كثير من الكتاب، فقد بدأت الرواية بشاب اسمه "حمد" يقطن العاصمة بسبب ظروف عمله، ويبدو من النسق السردي أنه انطوائي، يفضل العزلة والانكفاء على الذات، يأتيه اتصال من أخيه من المنطقة الجنوبية، يخبره أن والده مريض، ووضعه الصحي متدهور، ويتذكر أباه وما كان يقصه عليه من مآسيه، ومن هنا يعطي دفة السرد لأبيه، ليجاوز السرد أكثر من منتصف الرواية، بينما يمسك "حمد" دفة السرد في باقي صفحات الرواية.

ويعاني الأب الظلم والتهميش، فيحكي أنه منذ صغره، يعمل في الحقل الذي تركه والده له ولأخويه، وذات يوم قرر أخوه الأكبر طرده، بسبب تناوله بعض الخبز والعسل دون إذنه، ليبدأ رحلة من العذاب والمعاناة، ويقابل شخصيات متعددة في مسيرته الصعبة، منها شخصيتا الزوجين المسنين اللذين آوياه بعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وضاقت نفسه بالظلم والقهر، ثم جمعه الرجل المسن باللقيط صاحب القافلة الذي حمله على جمل شرود إلى مدينة ساحلية؛ ليعمل جنديًّا هناك، فيجتمع - في أثناء تجمع الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨- بياسر الجندي المنبوذ من بقية الأفراد؛ لاختلاف موقفه من وجود اليهود في فلسطين، ويلتقي بإسماعيل الذي قتل أخاه الأصغر، ليحرمه حقه في الميراث، فقد جاء الحرب بحثًا عن الموت، لا الاستشهاد، ليتخلص من تأنيب الضمير، ويتعرف على "جاسم" الذي جاء من شرق البلاد؛ ليواجه تهميشًا من بقية أفراد الجيش، لأن مذهبه الديني مخالف لمذهبهم.

وعندما قرر الأب العودة إلى بلدته، لم يجد أخاه الأكبر، فقد فتك الطاعون به هو وزجته، وباع الأرض والبيت، ولم يجد بدًّا إلا أن يشتري البيت والأرض من الأسرة التي اشترت إرث والده، ويتعرف على الأم العجوز التي هربت بحبها من سطوة القبيلة، لتتمكن من الزواج من رجل غير كفء لها في نظر أهلها.

وعندما استقر به الحال، قرر الزواج، وينجب طفلين، وبعد فترة من الزمن، تفتك الحمى بزوجته الطيبة، فيرحل بطفليه إلى العاصمة، ليلتقي بامرأة مطلقه، سلب طليقها ابنها منه عنوة، فيتزوجها، حتى ترعى الطفلين خاصة فترة غيابه في العمل.

ويمسك "حمد" بعد ذلك زمام السرد، فيذكر قصة الأطفال المتسولين، وقصة الطفل بائع القوارير الذي دفعه الفقر إلى الوقوف في إشارات المرور لبيع قواريره، هذه الشخصيات جميعًا كانت تعيش واقعًا من التهميش والظلم والإقصاء في مجتمع سلطوي ذكوري مركزي، تسوده عادات قاسية، ويكرِّس للتمييز العنصري، والظلم الاجتماعي، وتغيب فيه معاني العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص.

وظف الكاتب هذه الشخصيات المأزومة في خلق أحداث درامية، ومشاهد مستقاة من الواقع، متعرضًا لمشاهد التحول من المجتمع الفوضوي إلى المجتمع المدني ذي المؤسسات والقوانين، في حبكة قصصية دائرية، لتعود الأحداث في نهاية الرواية مسلطة الضوء على الشخصية الأولى "حمد"، وينتهي به المطاف منبوذًا من جميع أفراد أسرته بسبب آرائه المخالفة – في نظرهم– لتعاليم الدين التي طرحها في مقالاته الصحفية، وفقد رأوا أن أفكاره "ليبرالية"، وهي أفكار جديرة بأن تهمشه في هذا المجتمع، وتحوله إنسانًا منبوذًا.

ثنائية المركز والهامش كامنة في مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والأدبية، ومن هنا تبدو أهمية الدراسة في هذا الموضوع، حيث إن رواية "المنبوذ" عرضت مجموعة من المهمشين والمنبوذين، في مقابل مَنْ هم في المركز، والشخصية المهمشة أنتجها مكان وزمان هامشي، بينما تحوُّل المملكة من التهميش إلى المركزية، تبعه تحوُّل المكان والزمان من الهامشية إلى المركزية.

**ب– مفهوم ثنائية المركز والهامش:**

قبل أن نلج عالم الرواية لكشف التقابلات بين المركز والهامش، نتعرف على مفهوم المركز والهامش، فقد ورد في لسان العرب: ركز المركز: غرزك شيئًا مثل الرمح وغيره، ويركزه ركزًا في مركزه، ومدَّ ركزه: يركزه، وركزه غرسه في الأرض، ومركز الرجل: هو موضعه، ومركز الدائرة وسطها (ابن منظور، ١٩٩٤، ١/١١٣).

وورد في لسان العرب أيضًا: الهَمْشة: الكلام والحركة، وامرأة هَمْشَى الحديث: تكثر من الكلام، والهَمِش: السريع العمل بأصابعه، والهَمْش: العض، وقيل: سرعة الأكل، والهَمْش والهَمَش: كثرة الكلام والخطل في غير صواب (ابن منظور، ١٩٤٤، ٦/٣٦٥)، والهامش: حاشية الكلام (الفيروز آبادي، ١٩٩٩، ٢/٤٥٠).

فالمركز والهامش، ربما يستدعي إلى الذهن الدائرة بوصفها شكلًا من الأشكال الهندسية؛ إذ إن لكل دائرة مركزًا ومحيطًا، فلا تخلو دائرة من مركز، ولا يخلو المحيط من مركز، ولا يمكن لهامش أن يكون بدون متن، ومن هنا عرض كثير من الدراسين قضايا المركز والهامش في دارستهم (جيجخ، ٢٠١٥–٢٠١٦، ص١٦–١٧).

وقد تجلت ثنائية المركز والهامش في المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والأدبية، ففي في المجال الاجتماعي، يستخدم علماء الاجتماع المركز من خلال مفهوم اجتماعي، ومفهوم جغرافي، للدلالة على العلاقة القائمة بين قلب القوة، وثقافة مجتمع ما، ومناطقه المحيطة به (مان، ١٩٩٩، ص٩٩)، وهذا الأمر يحيل

على التقسيم الطبقي الذي يميّز بين طبقتين متصارعتين منذ القدم، هما: طبقة الأثرياء والأسياد الذين يمثلون المركز، وطبقة الفقراء والعبيد الذين يمثلون الهامش (غيث، ب.ت، ص١٩)، ويعني –كذلك– التهميش الوقوف خارج العملية الإنتاجية في المجتمع، ويرتبط نمو الجماعات المهمشة، وازديادها بالأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وترتبط تلك الظاهرة بفقر هذه الجماعات (توفيق ٢٠٠٦، ص٢٢).

وبرز في المجال الاقتصادي، مصطلح المركز والهامش، للدلالة على التقدم والتخلف، متكئًا على فكرة وحدة الاقتصاد العالمي، حيث تمثل الدول الرأسمالية المتقدمة المركز الاقتصادي في مقابل الدول المتخلفة والنامية، التي تمثل محيطَ أو هامشَ هذا الاقتصاد، وإن كان هناك دول غنية، وأخرى فقيرة؛ فإن المجتمع يشمل طبقتين: طبقة غنية في مقابل الطبقة الفقيرة (غيث، ب.ت، ص٥٦)، أما في المجال السياسي؛ فتكون الرياسة في المركز، وبها يقع الغلب (ابن خلدون، ٢٠١٠، ص١٤٧)، وتتم الرياسة لأهلها بالقوة والقدرة للحكم والسلطة، وتحدد نقاط القوة والهيمنة العناصر المادية، والعناصر العسكرية، والعناصر النفسية. (مطر، ٢٠٠١، ص١٨).

وينقسم العالم من الناحية السياسية إلى دول مركز ودول هامش، وتمثل دولة المركز قمة الهرم السياسي، فهي التي تسن القوانين وتطبقها، وتقوم بمعاقبة من يخالفها، وتعمل على تغييرها وتطويرها حسب ما تقتضي الحاجة، يعني ذلك أن دول الهامش تقع تحت هيمنة دول المركز، فالعلاقة بينهما علاقة التابع بالمتبوع (خليل، ١٩٨٥، ص٧).

وتدخل ثنائية المركز والهامش المجال الثقافي، حيث تتشكل المركزية الثقافية، عندما تفرض جماعة سيادتها الثقافية على جماعة أخرى من خلال سلطتها وأجهزة إعلامها، في محاولة منها فرض ثقافتها، وإلغاء ثقافة تلك الجماعة الأخرى، لكي تحاول إعادة إنتاج ثقافة هذه الجماعة داخل مركزية منظومتها، لكن الثقافة لا يمكن إلغاؤها، فيتحول الحوار إلى نوع من الصراع الثقافي، فتستعمل الجماعة المسودة/ المهمشة كل الوسائل من أجل الحفاظ على ثقافتها (إسماعيل، ٢٠١٦، ص١٤)، وفي كثير من الأحيان تمثل المؤسسات الثقافية سلطة المركز، فتهمش مَنْ لا تريده من أدباء، أو أفكار، فالأدب المركزي، هو الأدب الذي يحظى من قَبَل المؤسسات الثقافية، فتُعقد له المهرجانات والندوات، ويدرس في المناهج المدرسية (جغام، ٢٠١١، ص٤٨).

وتجليات ثنائية المركز والهامش في المجال الثقافي، تدفعنا إلى معرفة تجلياتها في المجال الأدبي، فالأدب الذي يتمرد على المؤسسة أو التقاليد، أدب هامشي، لأنه يتجاوز المألوف، وكذلك عُدَّ كل خروج عن المألوف نوعًا من تحدٍ للأدب الكلاسيكي، والكتابة المألوفة، فهو أدب هامشي (غيث، د.ت، ص١٩)، ويبقى الصراع قائمًا بين الأشكال التقليدية المهيمنة، والأشكال الجديدة التي حُكم عليها بالتهميش، فكل أدب جديد متمرد على النسق المألوف، يعيش فترة طويلة في دائرة الظل، ويأخذ فترة طويلة حتى يتغلب على المركز، ويبتعد عن غوايته؛ لأن "سلطة الأدب ترفض القولبة، وتأبى الجمود، وحين تقبل الجمود؛ تكون قد حكمت على نفسها بالموت والاغتراب" (صالح، ١٩٨٨، ص١٤٢).

وعلى أية حال، فالأدب الهامشي، أدب نشأ في العتمة، بعيدًا عن دائرة الضوء، وهذا الأدب، لا يُحتفى به، أو هو الأدب المختلف عن السائد والمألوف (صباحي٢٠٢٠، ص٢٨٢)، ويُطلق على هذا النوع الأدب الدوني، أو الأدب السوقي، أو الآداب الهامشية (لعلي، ٢٠١١، ص٦١)، كما يرصد أدب المهمشين حياة المنسيين الذين يعيشون حياة الفقر المدقع، من صغار اللصوص، ومتمردين، ومتسولين، وباعة جائلين، وصغار الموظفين، فيعبر هذا الأدب عن معاناتهم، وحياتهم القاسية (جغام، ٢٠١١، ص٤٨).

وقد اهتمت الراوية السعودية في مرحلة ازدهارها بطبقة المهمشين في المجتمع السعودي، وقدمتها موضوعًا من موضوعات السرد في محاولة بيان الوعي الذي وصل إليه الروائي السعودي في أطروحاته ورؤاه؛ فقدمت الروايات متخيلًا موازيًا للواقع، وصورت بنيةُ الهامش الذاتَ المنتمية إلى هذه الطبقة التي لديها وعي بواقعها وموقعها الاجتماعي (الفريدي، ٢٠٢٢، ص٣٢٦)، والفترة الزمنية التي سبقت تطور المملكة، وسبقت تقدمها الحضاري، تستهوي الروائي المعاصر، فتدفعه إلى معالجة موضوع المهمشين في تلك الفترة، ورواية "المنبوذ" ضربت بسهم في هذا المجال.

وسوف ندرس ثنائية المركز والهامش على النحو الآتي:

- المحور الأول: النص الموازي بين المركز والهامش.
- المحور الثاني: المكان بين المركز والهامش.
- المحور الثالث: الزمان بين المركز والهامش.
- المحور الرابع: الشخصية بين المركز والهامش.
- الخاتمة.
- المراجع.

## المحور الأول: النص الموازي بين المركز والهامش

يكشف النص الموازي عمَّا يتكتم عليه المتن، والمتن هو الأصل، أو مركز الأحداث في كثير من الأحيان، والأحداث تتأرجح بين إضاءات الهامش، وهيمنة المتن (بن علوش، ٢٠٢٠، ص٦٤)، وقد أولى نقاد الغرب عتبات النص، أو ما اصطُلح عليه النص الموازي أهمية خاصة، ومن أبرز هؤلاء النقاد كلود دوشيه Claude (duchets)، وفيليب هامون (Philippe Hamon)، وجيرار جنيت (Gérard Génette) في كتابيه "طروس" و"عتبات"، وقد شهدت الدراسات والأبحاث السردية في الأيام الأخيرة اهتمامًا كبيرًا بالعتبات عند جنيت، وبالهوامش عند هنري ميتران (H.Mitterand)، أو العنوان بصفة عامة عند شارل كريفل (Ch.Grivel)(لحمداني، ١٤٢٣، ص٨)، ويعرف مارتان بتلر (Martin Butler) النص الموازي بأنه "مجموع تلك النصوص التي تحيط بالنص، أو جزء منه مفصولة عنه مثل: عنوان الكتاب، وعناوين الفصول والفقرات الداخلية في المناص" (بلعاب،د ٢٠٠٨، ص٢٩).

وربما يمثل النص الموازي حاشية، أو هامشًا في مقابل المتن، ومن النصوص الموازية التي يمكن دراستها في هذا المضمار، عنوان الرواية والعناوين الداخلية، ومفاتيح الفصول.

**أ- عنوان الرواية والعناوين الداخلية:**

علاقة العنوان بالنص علاقة وثيقة؛ بما يمتلك من خصائص تعبيرية وجمالية؛ فهو رسالة لغوية مهمة، تتصل وقت ميلادها بحبل سُرِّي يصلها بالنص لحظة الكتابة والقراءة على حدٍّ سواء؛ فتصبح للنص بمنزلة الرأس من الجسد، نظرًا لما يتسم به العنوان من خصائص جمالية وتعبيرية؛ تتحكم في دلالة النص (بوقرة، ٢٠٠٩، ص٦٥)، ويحقق العنوان للنص نوعًا من الترابط والتماسك بوصفه مظهرًا من مظاهر عتبات النص له مرجعية؛ لأنه يحيل إلى النص، والنص يحيل إليه (الحمداني، ١٤٢٣، ص٢١).

وعندما يدخل النص الموازي ثنائية المركز والهامش، يجعله الباحثون موازيًّا لحاشية الكتاب أو هامشه في مقابل المتن، ومن هنا يفرقون بين الهامش والتهميش، فيكون الهامش مظهرًا نصيًّا، وتعبيرًا لغويًّا، بينما التهميش فعل ثقافي، يتصف بالتشويه، والإقصاء، والإلغاء داخل منظومة مجتمعية، على المستويين: الاقتصادي والسياسي في النسق السردي (قطناني، ٢٠١٩، ص٣٠).

وعنوان الرواية "المنبوذ" عنوان يمتاز بالاقتصاد والتكثيف، حيث إنه كلمة واحدة، خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذا المنبوذ)، والكاتب لا يعنيه المبتدأ بقدر ما يعنيه الخبر الذي يشير إلى فئة من المهمشين داخل المتن الروائي الذي يمثل مركزًا نصيًّا، فيكون العنوان إشارة إلى كامن مستور داخل النص السردي، والعلاقة بين المتن والهامش علاقة التابع بالمتبوع.

أما العناوين الداخلية؛ فقد تأرجحت بين المركز والهامش، فبدأت الرواية بثلاثة عناوين، يقع تحت كل منها جزءٌ من السرد، وهي (الجرح الأول- هروب نحو المجهول- رغبة الحياة)، وهذه العناوين مرتبطة بالأب الذي طرده أخوه الأكبر من أرض والده، وبيت أبيه، فعانى التهميش صغيرًا، إذ دفعه جُرْحُه الأول -وهو الطرد- إلى الهروب، بحثًا عن العيش والحياة، بينما العنوانان (الخبر-الحزين- الصدمة والاختلاف)، مرتبطان بموت شقيق السارد/ الأب، فعندما فرَّ من أخيه الأكبر عمل جنديًّا في الجيش بعد رحلة من العذاب، وأخوه (علي) عندما أراد أن يلحق به ويعمل في الجيش قُتل في الطريق، فالخبر الحزين والصدمة، يشيران إلى حالة المجتمع الهامشية نسبة للمجتمعات المنظمة الأخرى، وفوضويته في هذا الوقت، والعنوان (زيارة الراعي- بائع القوارير)، نتج التهميش فيهما من خلال المهنة، بينما ارتبط التهميش في العنوان (أنا الحر) بالحرية في الرأي، ولم تَبْقَ العناوين الهامشية في دائرة الضوء وحدها، بل تقاسمها العناوينُ المركزيةُ الوظيفةَ الفنيةَ في فضاء الرواية.

والعنوان (عملة معدنية)، أثار دهشة الأب البدوي الفارِّ من ظلم أخيه، فهو في البادية لا يعرف شيئًا عن العملة، فالعنوان هنا يشير إلى المركزية الاقتصادية للمدينة، والعنوان (التغيير) دلالة واضحة عن اقتراب المجتمع السعودي إلى التحول من التهميش إلى المركز، والعنوان (المجتمع الجديد) يُدخل المملكة في صميم المركز، والعنوان

(القصاص)، يدل على مركزية السلطة، حيث نُفِّذَ القصاص في قاتل عليّ، ويكون القصاص نهاية لحالات الفوضى والسطو في المجتمع.

أما العنوان (سلطة شرفية وحقيقية)، فهو إشارة إلى مركزية السلطة الدينية في المجتمع الجديد، و(خدمة) يعبر عن خدمة قدمها الضابط للسارد، فقد وافق على التحاق "عليّ" بالجيش، لكنه قتل في الطريق، فالضابط في المركز، وليس في الهامش، و(نار الضمير) تحرق "إسماعيل" قاتل أخيه الأصغر، ليستولي على ميراثه، فهو في المركز، وأخوه في الهامش، هكذا يرتسم المشهد وتتبدى الثنائية بين المركز والهامش من خلال تلك العناوين الداخلية.

**ب- فواتيح الفصول:**

اهتم النقاد القدماء بالفواتيح؛ لأنها دلائل البيان، ولا بدَّ أن تدل الفاتحة على الغرض الذي من أجله كُتب النص "وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر والرسائل دالًّا على المعنى المقصود من هذا الكلام، إن كان فتحًا ففتحًا، وإن كان هناءً فهناءً، أو كان عزاءً فعزاءً، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني، وفائدته أن يُعرف من مبدأ الكلام ما المراد به؟ ولِمَ هذا النوع؟" (ابن الأثير، ب.ت، ٩٦/٣)، وبراعة الفواتيح، أن يأتي الكاتب في بداية كلامه بقرينة أو بينة تدل على مراده، أو معظم مراده، فيوجه القارئ إلى قصده، والفواتيح غالبًا ما تكون ذات طابع شخصي أو عاطفي (الحلبي، ١٩٨٠، ص٢٥٠).

يفتتح "عبد الله زايد" روايته بأبيات "جبران خليل جبران" في قصيدة المواكب:

**فإن رأيتَ أخ الأحلام منفـــرداً عن قومهِ وهو منبوذٌ ومحـــــتقرُ**

**وهو الغريبُ عن الدنيا وساكنها وهو المهاجرُ لامَ الناس أو عذروا**

**وهو الشديد وإن أبدى ملاينـــةً وهو البعيدُ تدانى الناس أم هجروا** (زايد، ٢٠٠٦، ص٦).

المفتتح يشير إلى فئة المهمشين والمنبوذين، وهو الذي يحلم بواقع مخالف للآخرين، أو يحمل أفكارًا مختلفة للسائد والمتعارف عليه، فمن هنا يعيش في العتمة أو الهامش، ويعاني الاغتراب النفسي، والمفتتح الشعري وظفَّه الكاتب توظيفًا فنيًّا، ليشير إلى فئة المهمشين والمنبوذين في المتن الروائي.

وأسفل العنوان الأول من الرواية "كانت البداية" كتب الشطر الأول من بيت إيليّا أبي ماضي:

**فَأَعْظَمُ مَجْدِي كَانَ أَنَّكَ لِي أَبٌ وَأَكْبَرُ فَخْرِي كَانَ قَوْلُكَ: ذَا اِبْنِي!** (زايد، ٢٠٠٦، ص٧).

بدأ "حمد" السرد في البداية، ثم أعطى دفة السرد إلى الأب، والمفتتح يشير إلى الأب عندما تحول من الهامش إلى المركز، وكذلك الأب حين طلب من الابن أن يعيد عليه البيت مرارًا، وكان جَدُّ "حمد" في موقع المركز حيث يمتلك أراضيَ زراعية، ومواشيَ وأغنامًا، فإن كان المفتتح السابق إشارة إلى الهامش، فإن هذا المفتتح إشارة إلى المركز.

وعندما تولى الأب فعل السرد؛ كتب المؤلف في أعلى الصفحة عنوانًا (الجرح الأول)، وكتب المفتتح في منتصف الصفحة "**الأب العجوز يحكي**" (زايد، ٢٠٠٦، ص١٧)، والمفتتح يتآزر مع البيت الشعري لإيليّا أبي ماضي السابق، للدلالة على مركزية الأب الذي تحول من التهميش إلى المركزية.

أما المفتتح تحت عنوان (العدالة) "**تذكر دومًا.. لم يكن ثأرًا وانتقامًا**" (زايد، ٢٠٠٦، ص٤١)، فيشير إلى قصة القصاص من قاتل "علي"، والقصاص عدالة، ليس انتقامًا ولا ثأرًا، ومن هنا فإن المفتتح دلالة على مركزية الدولة، وتحولها من الهامش إلى المركز.

وعندما التحق الأب بالجيش افتتح الفصل بقوله: "**ذرفت عيناي بالأمس الظلم والإهانة!**" (زايد، ٢٠٠٦، ص٥٧)، وهذا المفتتح مزدوج الدلالة، فهو يشير إلى ماضي الشخصية المهمشة، وماضي المجتمع الهامشي، كما يشير إلى حاضر الشخصية في الجيش، ومركزية المجتمع الجديد، الذي أصبح ينعم بمقومات الدولة الحديثة.

## المحور الثاني: المكان بين المركز والهامش

تقوم الرواية على المحاكاة، ولا بدَّ لها من حدث، ويتطلب هذا الحدث بالضرورة مكانًا وزمانًا، ويستقطب المكان الروائي جماع اهتمام الكاتب، وذلك لأن التعين المكاني في الرواية، هو البؤرة الضرورية التي تدعم السرد، وتنهض به في كل فعل تخيلي (بحراوي، ١٩٩٠، ص٢٩).

ويدخل المكان في علاقات متنوعة مع المكونات السردية، ومن خلال عملية تحليله، يمكن فهم هذه الصلات، ومدى عمقها ودلالتها، فهذا المكون النصي، لا يتكوَّن في عزلة عن بقية الفضاء الروائي (المالكي، ٢٠٢١، ص٤٨٩)، والبيئة الموصوفة في العملية السردية، تؤثر في الشخصية، وتحفزها على أن تقوم بالأحداث، وتدفع بها نحو الفعل، حتى يمكن القول: إن وصف البيئة، هو وصف لمستقبل الشخصية (بحراوي ١٩٩٠، ص٣٠)، وبنية المكان تتجلى بين المركز والهامش – في الغالب– في فضاء الرواية في المراوحة بين مركزية المدينة، وبين هامشية القرية أو البادية، فالمدينة محل استقطاب أبناء البوادي في بعض الأحيان على حد قول السارد: "**قرروا الرحيل والسعي لتحقيق حياة سعيدة مستقرة بعيدًا عن مصدر الوباء في محاولة لاختصار الزمن؛ ليعيشوا كل أسباب الراحة وينعموا بها، فانتقلوا نحو الحضارة، نحو المجتمع الجديد الذي بدأ يتشكل، بحثًا عن الرزق، وتحقيق الذات والشعور بالوجود الحقيقي**" (زايد، ٢٠٠٦، ص١٥).

والمدينة بوصفها مركزًا تجذب أبناء القرى، يفرون إليها هروبًا من شظف العيش، وهامشية القرى، فالمدينة بها المشافي، ودور التعليم، والوظائف، وبالأحرى هي موطن من مواطن الحضارة، ومن ثمَّ يسعي المهمشون إليها، لينتقلوا من حياة الفقر إلى سعة العيش، ومن البؤس والشقاء إلى الراحة والسعادة، أو بمعنى آخر ينتقلون من الهامش إلى المركز.

وتتجلَّى المركزية أكثر في العاصمة، وهي محل اهتمام "حمد"، يقول: "**كانت قليلة تلك اللحظات التي انفرد فيها بأبي؛ ذلك أنني كنت أعيش في العاصمة التي عشقتها حتى الثمالة، وعشقت رياحها وقسوتها وناسها**" (زايد، ٢٠٠٦، ص١٦).

هنا تتجلَّى مركزية العاصمة عبر تمتعها بكافة الخدمات، وتميزها بوجود سفارات جميع الدول بها، وتستمد أهميتها من مركزها السياسي، إذ هي محل السلطة السياسية في الدولة، ولهذا عشقها "حمد" حتى سكر من عشقها،

وعندما فرَّ الأب الهارب من ظلم أبيه التحق بالجيش في مدينة ساحلية، فبهرته المدينة، وهو الفار من هامشية البادية رهبة لا رغبة، يقول:

"**في هذه المدينة الساحلية تواجدت قوات من الجيش، ويبدو أنها كانت ركيزة اقتصادية هامة لساكنها، فكثافة الجند، وتبضعهم الدائم بأعداد كبيرة جعلا المدينة في حركة تجارية نشطة، وساعداها أن تخطو خطواتها الأولى نحو التطور والتقدم، كما أنها وفرت مئات الوظائف لأبنائها، واليوم أصبحت هذه القوة العسكرية جزءًا منهم، حيث مضت أعوام على وجودها**" (زايد، ٢٠٠٦، ص٣٧).

استمدت المدينة مركزيتها من القوة العسكرية، والقوة الاقتصادية، والعلاقة بين القوتين علاقة طردية، أو علاقة دينامية، فالجنود مغتربون، من أماكن متفرقة في المملكة، فهم في حاجة إلى سد متطلباتهم الحياتية، ومن ثمَّ فهم جزء أساس في حركة البيع والشراء، ودفع عجلة الاقتصاد في المدينة نحو الأمام، وفي المقتبس إشارة إلى تغيُّر المجتمع وتحوله من الهامش نحو المركز.

وعندما عاد الأب إلى القرية، وزرع أرضه، وتزوَّج وأنجب، وماتت زوجته، قرر أن يعود إلى المدينة مرة أخرى "**لقد قررت السفر نحو أرض جديدة تكون فرصة التعليم فيها متاحة، وسبل العمل والرزق متيسرة ومستمرة، وليست موسمية تبعًا لحالة المناخ والأمطار، لم أستمر طويلًا في التفكير، فقد عقدت العزم على أن مسيرة التعليم قد بدأت في معظم المدن الكبرى**" (زايد، ٢٠٠٦، ص١٠٥).

الأب رحل من قريته في صغره خائفًا يترقب، طرده أخوه الأكبر، وحرمه من أرض أبيه، فعاش فترة من الزمن مهمشًا، وعندما جمع مالًا من الوظيفة عاد إلى المكان الهامش/ القرية، واسترد أرضه، وتحول إلى المركز، ولكنه مازال يعيش في الهامش المكاني، وعندما ماتت زوجته الوفية، وجد أن المكان/ الهامش، سيحرم أولاده من التعليم، فقرر أن يعود بأولاده إلى المدينة/ المركز الذي يعرفه، حيث العيش الوفير، والفرص الأقوى.

إن وصف القرى بأنها صغيرة، وقد وقعت تحت سطوة الزمن، وقوة الأيام، يوحي بهامشية المكان، وحرمانه من أي خدمة، فإن المكان واقع تحت طائلة الفقد والاستلاب، فقد سلبه الزمن كل وسائل الحياة المستقرة، أو حياة العيش الهادئ، والرزق الوفير، فالمكان ثابت على هامشيته، لا يملك أية وسيلة للتغيير.

وعندما انبهر الأب البدوي بالمدينة حين وطئتها قدماه لأول مرة، عاد بذاكرته واصفًا القرية "**إن أكبر تجمع شاهدته كان عشرة أشخاص، كانت بيوت الطين قليلة، وبيوت "الشَّعْر" منتشرة، و"العشش" المصنوعة من القصب بقبابها البيضاوية متفرقة في سهل لا توجد فيه خضرة**". (زايد، ٢٠٠٦، ص٣٧).

يقارن السارد بين المدينة/ المركز بازدحامها السكاني، وبين القرية التي يقل فيها عدد السكان، وندرة السكان في القرية دليل على هامشيتها، وتتجلى هامشية المكان من خلال بيوت الشعر، والبيوت الطينية، والعشش، ويزيد من هامشية المكان الجدب الذي يصيبه، حيث لا توجد خضرة، لأن الزرع مرتبط بالمطر.

والبيت في القرية مكان هامشي، ويروي صاحب القافلة قصة بناء بيته الحجري: "**هل تعلم أنني ظللت سنوات طويلة، أجمع المال بعرقي وجهدي المتواصل؟ وبعد أن تمكنت من جمع ما يكفي، لم أتردد في شراء قطعة أرض، ومن ثم قمت ببناء بيت من الحجر عليها، استغرق بناؤه نحو واحد وأربعين شهرًا من الجهد والتعب والعمل المتواصل**" (زايد، ٢٠٠٦، ص٣٥).

**المحور الثالث: الزمان بين المركز والهامش**

إن إهمال العنصر الزمني في العملية السردية، ضرب من المستحيل، فلا بد أن نسرد القصة في زمن معين، سواء كان هذا الزمن ماضيًا، أم حاضرًا، أم مستقبلًا، ومن ثم تأتي أهمية التحديدات الزمنية، بالنسبة لمقتضيات السرد (بحراوي ١٩٩٠، ص٧٩).

وينقسم الزمن إلى زمن خارجي، وزمن داخلي:

**الزمن الخارجي**: ذلك الزمن الذي يتعلق بتاريخ كتابة النص، ومدة كتابته، ومدة القراءة وتاريخها، مع مراعاة الظرف الزمني المحيط (محجز ٢٠١٤، ص١٧٣).

**والزمن الداخلي**: يشمل الحقبة التاريخية التي تحكيها الأحداث، ومدتها التي استغرقتها، وترتيبها، وهو ينتظم في ثلاث علاقات: الترتيب أو النظام– المدة– التوتر (العيد ٢٠١٠، ص١١١).

والرواية بوصفها نسقًا سرديًا، لا تشوش الزمن بقدر ما تسهم في إعادة تخليقه، عندما يتدخل عنصر الخيال، فيعمل على إعادة الترتيب الزمني الواقعي الذي يسير بطريقة رتيبة، وما يفعله الخيال هو خلخلة الرتابة من أجل المعنى، والتلاعب بالزمن لصالح الواقعة، وإذا شاء الروائي ألَّا يفعل هذا، بشرط أن يعرف الفرق الإبداعي والفني بين الزمن الكرونولوجي (المتسلسل)، والزمن السيكولوجي (النفسي)؛ لأن زمن الروايات ينطلق في الأساس من الزمن النفسي، لتنأى الرواية عن عالمها الواقعي، وتختلف عنه (هذيلي، ٢٠٢١، ص٢٣٥).

وتتجلَّى مركزية الزمن وهامشيته في رواية "المنبوذ" في كثير من المواضع في النسق السردي، ولما كان موضوع الرواية يعالج قضايا التهميش، ومعظم شخصياتها من المنبوذين؛ فسيتفوق الزمن الهامشي على الزمن المركزي.

وزمن السفر زمن هامشي للشخصية "حمد"؛ "**في أوقات السفر ينتابني حزن عميق، وشعور بالغ بالظلم والفرار، وفي تلك اللحظات كانت أحاسيسي أشبه بخيوط العنكبوت من وهنها، وشدة رقتها، كنت كئيبًا جدًّا، وأحاول أن أركِّز تفكيري في شيء محدد، لكني لم أكن في فوضى ذهنية شاملة**" (زايد، ٢٠٠٦، ص١٣).

بدأت الرواية من نهايتها عندما اتصل أخو "حمد" يخبره بمرض والده، وتدهور صحته، وقد فشل في الحصول على تذكرة طائرة، فاضُطر إلى ركوب الحافلة، واستغرقت البداية ثماني صفحات من السرد، ثم عاد زمن السرد عبر تقنية الاسترجاع إلى الأب المريض ليحكي مسيرته منذ الصغر إلى أن اقترب من نهاية حياته.

ومع هامشية الزمن للمسافر، إلا أن الكاتب وظفه توظيفًا فنيًّا، فالشخصية ينتابها حزن، ويعلوها كآبة، تشعر بالظلم الذي يدفعها بالفرار، أحاسيسها واهية، وهذا يمهد للقارئ، أنه سوف يصادف شخصية مهمشة، أو منبوذة في الرواية، وبالفعل عندما أمسك "حمد" بخيوط السرد من والده، في الثلث الأخير من الرواية، كشف للمتلقي أنه شخصية منبوذة، ليس بسبب فقر، وضيق عيش، بل بسبب أفكاره التي هي غريبة عن المجتمع، فقد تبرأ أخوته منه، ونبذوا أُخوته، بسبب ما يسمونه أفكارًا ليبرالية.

ويشير "حمد" إلى هامشية الزمن الذي عاش فيه الآباء، تمهيدًا لمعرفة المتلقي حال أبيه، الذي سوف يتولى مهمة السرد بعد قليل، يقول:

"**في تلك الحقبة عاش آباؤنا الألم مصحوبًا بمرارة الأميَّة والجهل، لم تكن معاركهم مع التضاريس الصعبة والطبيعة القاسية وحسب، بل كانت تشمل نبضات وتفاصيل الحياة؛ كانوا يحاربون الوباء: الأمية والتخلف، بما كانوا يزرعونه في قلوبنا من معاني النبل والصدق في الوقت الذي يعانون فيه الخيانة والنهب والغارات القبلية متواصلة والعصبية مترسبة داخل نفوسهم، فحياة النظام لا يعرفونها**" (زايد، ٢٠٠٦، ص١٥).

الزمن الذي عاشته المملكة قبل توحديها على يد المؤسس الأول الملك عبد العزيز –رحمه الله– زمن هامشي بمعنى الكلمة، فقد سلب الزمن الناس كل شيء فعانوا الجهل والتخلف، وانتشرت فيهم الأوبئة والأمراض، وعاندتهم الطبيعة بقسوة تضاريسها، وبَعُد بهم النظام القبلي عن حياة الأمن والاستقرار، فالضعيف حقه مهضوم، والنهب منتشر، والسلب ناره مشتعلة، والجوع يفتك ببطون الضعفاء، والقتل يتربص بهم، فالولاء للقبيلة، فلا دولة ينتمي إليها، ولا سلطة مركزية يأوي إلى كنفها، فالزمن زمن الهامش بكل ما تعنيه الكلمة من دلالات، وما تحمله من معانٍ.

والزمن الهامشي يلازم المهمشين في الرواية، فيمثل وسيلة ضغط على هؤلاء الضعفاء المعوذين، يحكي الراعي العجوز الذي آوي الأب الفار من ظلم الأخ الأكبر: "**قبل عشرين عامًا من الآن أصيبت هذه البلاد بوباء قتل الكثير من سكانها، وهجرها الكثيرون، ومما زاد الأمر معاناة ومشقة علينا في ذلك الوقت الجفاف وقلة الماء، مات كثير جدًّا من الناس، لا توجد عائلة إلا وقد فقدت أحد أبنائها**" (زايد، ٢٠٠٦، ص٢٦).

يصور "الراعي العجوز" هامشية الزمن عبر تقنية الاسترجاع، أو التداعي الحر، وهذا الزمن زمن الوباء، فلا مشافيَ، ولا أطباء، وقد كان قديمًا يؤرخون بالوقائع والأحداث، أو تفشي مرض ما، مثلًا عام الرمادة، وعام الطاعون، وغير ذلك، فانتشار الأوبئة، تهميش للزمن، وتهميش مَنْ عاشوا في هذا الزمن.

ولم يتوقف الأمر في هذا الزمن على الأمراض فحسب، فقد كانت السماء – في بعض الأعوام– تمسك ماءها، فلا تفيض عليهم بغيثها، فيعانون من الجوع والمسغبة، ويبيتون وبطونهم خاوية، ويعضهم الفقر بأنيابه، فيعيش الفقراء مهمشين في زمن الهامش.

ولم يتوقف تهميش الزمن الفني في الرواية فحسب، بل يمتد الأمر إلى الزمن الواقعي على حد قول الأب السارد: "**هذا العام ١٩٤٨ الميلادي الحزين الذي اندلعت فيه أولى الحروب العربية الإسرائيلية، حيث استولى اليهود على فلسطين، وحشدوا عشرات الآلاف من المقاتلين، ومنذ ذلك الحين لم يتوقف سفك الدم الإنساني، الصورة نفسها تكرر**" (زايد، ٢٠٠٦، ص٧٧).

أطال "الأب" في وصف حرب ١٩٤٨، تلك الحرب التي خاضها بوصفه جنديًّا في الجيش السعودي، ولم تصمد الجيوش العربية مجتمعة أمام شرذمة من شذاذ الأرض من اليهود، وكان هذا العام عام احتلال اليهود لأرض فلسطين، وتهجير الكثير من أبنائها، إن هذا العام أو الزمن هو زمن مركزي لليهودي، وزمن هامشي للعرب.

إن السارد الذي أخفق في زمن الواقع، عندما استقر جنديًّا في الجيش، بحث عن زمن مركزي يعوضه عن زمن الهامش، فكان زمن الحلم زمنًا مركزيًّا، الذي نقله إلى أرض أبيه التي حرمه منها أخوه الأكبر، إنه يحلم بأن يتحول من الهامش إلى المركز، فامتلاك الأرض معادل موضوعي لمركزية الشخصية، والأرض في زمن الحلم تعبر عن مركزية الزمن.

ويتأرجح السرد بين زمن المركز، وبين زمن الهامش، في قول السارد/ الأب: "**القبيلة تاريخ مضى أمام دولة المؤسسات والنظام والمساواة، القبيلة تلفظ أنفاسها الأخيرة الآن كنظام اجتماعي أو طبقي أو عنصري، عرف – الناس وأنا واحد منهم – أنها تكرس العلو لزعمائها، وأنها لم تكن تأخذ على عاتقها أي تعاطف مع الإنسان البسيط في ذلك الزمن، كم كانت القبيلة مجرمة بحق الإنسان المسكين، كم كانت القبيلة مجرمة بحق الأخوة والدم** " (زايد، ٢٠٠٦، ص٥٠،٥١).

هذا المقتبس تحت عنوان "التغيير" أي أن المجتمع تحول من الهامش إلى المركز، تحول من سلطة القبيلة إلى سلطة الدولة، من زمن الهامش إلى زمن المركز، إن الزمن استمد مركزيته من مركزية الدولة، بما فيها سلطات مهمتها حفظ الأمن والأمان، وتوفير العيش الكريم لأبناء الدولة، وتسوّي بين الغني والفقير، تعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، إن زمن المركز، يفرض سلطانه على زمن الهامش، بل يقضي عليه تمامًا.

## المحور الرابع: الشخصية بين المركز والهامش

تُعدُّ الشَّخصيَّة وحدة متكاملة لها تأثير ديناميّ في الميدان الذي توجد فيه، ويُعتبر التَّأثير بين الشَّخصيَّة الروائية وعالمها الخارجيّ متبادلًا بشكل مستمر ودائم؛ حقيقة إنها مزودة ببعض النزعات الوراثية؛ إلَّا أنَّ هذه النزاعات تمتلك القابلية للتَّغيير وللتَّعديل بحكم الظُّروف التي تحيط بها (إفرخاس، ٢٠١١، ص١١٩).

فالشخصية في الرواية غير المؤلف وغير البطل، فهي – غالبا – تقع في المنطقة التي تفصل بين المؤلف وبين الشخصيات؛ المنطقة التي تفصل بين القارئ وبين النص. (الكردي، ١٩٨٦، ص١٨).

والصورة المنظمة والمتكاملة لسلوك إنسان ما، تشعره بتميزه عن غيره، وليس مجموعة من الصفات فحسب، وإنما تشمل في الوقت ذاته، ما يجمعهما، وهي الذات الشاعرة، وكل صفة – وإن كانت ثانوية– تعبر إلى حد ما

عن الشخصية بكاملها. (مرتاض، ١٩٩٨، ص٤١)، وتُعبرُ الشخصية في كثير من الأحيان عن الاعتقاد الفكري أو الاجتماعي أو السياسي عن منتج النص نفسه، أي أنها تحمل أفكار الكاتب (حسن، ١٩٩٩، ص٣٥٩).

وشخصية المهمشين والمنبوذين هي المسيطرة على الرواية، وقد أفرد لها الكاتب مساحة واسعة، وهذا يتناسب مع موضوع الرواية، لكن لا يوجد هامش بدون مركز، ولا شخصية مهمشة بدون شخصية مركزية، ولذلك يتوجب علينا دراسة الشخصية الهامشية، ثم ندرس الشخصية المركزية.

**أ- الشخصية الهامشية**

يحدث التهميش للشخصية عندما تقع في المنطقة غير المؤثرة على عدة مستويات اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، ويعود ذلك الأمر إلى عدة أسباب: منها الأسباب الاجتماعية، كغياب العدل والمساواة، والأسباب الاقتصادية، وأبرزها تأثير الثورات الصناعية والاقتصادية في خلق طبقات اجتماعية مختلفة، وأسباب ذاتية تتسم بعدم القدرة على تحقيق الذات (المالكي، ٢٠٢١، ص٤٣٤).

ويرجع تهميش الشخصية لأسباب اجتماعية، وأهمها النظام القبلي الذي لا يلقي بالًا للحقوق، ولا يحقق المساواة، ولا يقيم العدل، ولا يحترم حقَّ الضعيف، وقد كان الأب/ السارد ضحية هذا النظام، يقول: **"منذ فتحت عينيَّ وجلت بهما في أرجاء محيطي، أدركت النقص الهائل الذي يجتاح نفسي، عندما بدأت خطواتي الأولى علمت أن المكان رغم اتساعه يضيق عليَّ"** (زايد، ٢٠٠٦، ص١٩).

إن السارد يهيئ ذهن المتلقي، كي يتعرف على مأساته، وتهميشه، فقد مسخ الأخ الأكبر شخصيته، فهو الصغير الذي يحرث الأرض، ويسقي الزرع، ولا يأكل إلا الفتات، فلم يرحم الأخ الأكبر صغر سن أخيه، ولا ضعف جسمه، وقد عانى المهمش آلامًا نفسية، فقد تألمت نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت.

وهذا المهمش يأكل بالأمر، ويشرب بالأمر، ويتحرك بالأوامر، فعندما عضه الجوع، وجد أخاه الأكبر نائمًا، ولم يصبر على ألم الجوع، فأكل بعض الخبز والعسل، فعندما استيقظ الكبير من النوم قرر طرده من بيت أبيه، وأملاكه الواسعة، فضاقت به السبل وساقته قدماه إلى مهمَّشَيْنِ: راعٍ وزوجته.

يقول: "**بعد أن استعدت عافيتي، لم يكن لي ملجأ أعود إليه، ولم يطلب الراعي وزوجته مني المغادرة، ولم يشعراني –أيضًا– بأنِّي عبء عليهما، أو ضيف ثقيل، بل على العكس، كنت أشعر منهما بالحب والترحيب الدائمين، مضى زمن وأنا في ضيافتهما أنعم بالراحة النفسية والذهنية، أما الراحة البدنية، فليست واردة**" (زايد، ٢٠٠٦، ص٢٥).

وإن كان الراعي لم يضقْ ذرعًا بالسارد/ المهمش، فإنه كان يعمل طول اليوم في أعمال شاقة، تناسب حالة الفقر، والبيئة القاسية في ذلك الزمن، لكنَّ الراعي أراد له أن يفرَّ من الزمن الهامش، والمكان الهامش، لينطلق نحو المدينة، لعلَّه يتحول من الهامش إلى المركز، فاتفق مع صاحب القافلة أن يحمله معه إلى المدينة الساحلية.

وصاحب القافلة لقيط، ومن ثم لا بد أن يعيش مهمشًا في المجتمع بسبب النظام الاجتماعي، أو بالأحرى سطوة القبيلة، يقول: "**أن تكون مجهول الأبوين في مجتمع لا يرحم، فهذا يعني العذاب، يعني عذابًا مستمرًا**

**ومتواصلًا، وهو ما كنت أعانيه دومًا، وما أكثر ما أُعتدي عليَّ، ولم أجد مَنْ يحميني! أتعرض إلى الأذى، ولا يهبُّ أحد لمساعدتي، ضُربت ولم أجد مَنْ ينجدني، هل تعلم أن قلبي يمتلئ حقدًا وغضبًا على هذا النظام القبلي؛ ليس لأن فيها انتماءً عائليًّا، بل لأنه يفصل رابطة الدم عن الروح لكائن اسمه الإنسان؟"** (زايد، ٢٠٠٦، ص٣٣، ٣٤).

وظل صاحب القافلة منذ ولادته حتى وفاته مهمشًا منبوذًا من كل أبناء القبائل، عانى العذاب، وقاسى الهوان، فلا حامي له من قسوة نظام اجتماعي، فرضته أعراف قبلية، قائمة على العصبية، لا تنظر إلى الإنسان على أنه إنسان ليس غير، فحكمت القبائل على هذا المهمش أن يعيش وحيدًا، فقد حرمته الزواج من أية امرأة، لأنه لا يكافئ أحدًا في النسب، فمات ولم يجد بواكيَ تبكيه، فلا صاحبة، ولا ولد، وعلى أية حال فإن هذا المهمش يعبر عن أفكار الكاتب الذي يرفض عصبية القبيلة، وينبذ ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

وقد عانى الأخ الأصغر غير الشقيق "لإسماعيل" من تهميش أخوته الثلاثة، وفقًا للنظام القبلي الذي لا يعير اهتمامًا للضعيف، يحكي "إسماعيل": **"يا أخي الحاجة هي التي تدفعني لسؤالك أن تحاول إعادة ولو جزء يسير من حقوقي من إرث والدي، وعندها أشتاط غضبًا، وأقوم بطرده، فيذهب إلى الأخ الثاني، ثم الثالث، بدون جدوى"** (السابق، ص٨١).

التقى "إسماعيل" بالأب السارد في حرب ١٩٤٨ التي خاضها العرب ضد اليهود على أرض فلسطين، وأخبره أنه لم يأتِ إلى الحرب، لا من أجل النصر، ولا من أجل الشهادة، بل خاض الحرب من أجل أن يموت، كما مات أخواه الظالمان، فقد ماتا شرَّ موته، فأخوهم الأصغر كان يتمنى منهم كلمة حنان، أو نظرة عطف، ويريد جزءا يسيرًا من ميراثه، لكنَّ كل هذا لم يحدث، وانتهي المطاف بالأخوة الثلاثة، إلى استدراج الصغير/ المهمش إلى رحلة في الصحراء، وما هي إلا رحلة النهاية، فانهالوا عليه ضربًا حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، وبعد فترة لحق به أخوان، وبقي إسماعيل يعذبه الضمير، ويحرقه نار الظلم.

ومن هنا تتقاطع شخصية المقتول، مع شخصية الأب السارد الهارب من ظلم أخيه الأكبر، وكلاهما حُرم من ميراث أبيه، وكما مات الأخوان، فتك الوباء بالأخ الأكبر للسارد، وزوجته، وانقطع نسله، واختفى أثره، وهزم الموت مركزيتهم جميعًا، تلك المركزية المستمدة من مركزية القبيلة.

وسطوة القبيلة همشت العشيقيْن، تحكي المرأة الفارَّة من القبيلة بحبها: **"لقد كانت أسرتي تنظر إليه نظرة محملة بالاحتقار، صحيح أنه كان من إحدى القبائل، ولكن أهلي يعتبرونهم أقل حالًا في نسبهم، وأقل مكانة.. وأن دماءهم غير نقية! لقد كان زواجنا مستحيلًا... ولأننا وصلنا لهذه النتيجة لم يكن سوى حل واحد أمامنا، وهو أن نفرَّ بحبنا بحثًا عن شرعية تظلل عشقنا، لنثبت اختيارنا وقرارنا رغمًا عن كل المتعطشين للحمية والطبقية في ذلك الزمن ... إن مسيرة الآهات والألم ترافق المنبوذين، وتطحن البؤساء"** (زايد، ٢٠٠٦، ص٩٨-٩٩).

يعرض الكاتب نمطًا آخر للمهمشين والمنبوذين، وعنون هذا الجزء من الفصل "الحب المرفوض"، فالقبيلة لا تعترف بالحب طالما المحب، لا ينتمي للقبيلة، وعندما تحدَّى المحبان، أعراف القبيلة، وقررا الهروب ليحيا حبهما الذي حكمت عليه القبيلة بالموت، ومن هنا فقد عاشا مهمشَيْن منبوذَيْن مطاردَيْن، مختفين عن أعين الرقباء، فالقبيلة لا تألوا جهدًا في البحث عنهما، ليُقتلا، فظلَّا ينتقلان من مكان إلى آخر يعملان أُجراء عند المركز، فقد حولهما التمسك بالحب من المركز إلى الهامش.

وكما أن العامل الاجتماعي أدَّى إلى تهميش كثير من شخصيات الرواية، فإن العامل الاقتصادي أسهم في تهميش بعض الشخصيات في الرواية، فالفقر من أهم العوامل في تهميش الشخصيات.

ومن الشخصيات التي همشها الفقر الراعي وزوجته، يحكي الراعي: **"أعمل أنا وزوجتي عند أصحاب الأراضي، وما نأخذه من طعام وعذاء يكفينا، ثم إن هاتين الشاتين يكفينا لبنهما"** (زايد، ٢٠٠٦، ص٢٨).

إنهما يعيشان التهميش بأشد درجاته، فهما في سنٍّ لا يسمح لهما أن يعملا عملًا قاسيًّا بهذا الشكل، والكاتب حين يجردهما من امتلاك أي شيء سوى شاتين، يصور بؤس الحال لهذه الفئة من المهمشين.

والفقر أسهم أيضًا في وجود فئة من المتسولين والمهمشين، وقد كان لهم نصيب في الرواية **"لقد أُعتقل أثناء ما سُمي بحملة مكافحة التسول، أطفال تم إطلاق سراحهم بعد ساعات؛ لأنهم – ببساطة– فقراء.. فقراء.. فقراء.. وفي اليوم التالي عادوا إلى مواقعهم ذاتها عند إشاراتهم الضوئية"** (زايد، ٢٠٠٦، ص١٤٢).

لقد ربط الكاتب التسول بالفقر، وتكرار الفقر ثلاث مرات في النص، إشارة واضحة إلى السبب الرئيس لتسول هذه الفئة المهمشة، وعلامات الحذف/ النقط الأفقية، تشير إلى المسكوت عنه، فالمجتمع المسؤول عن تشرد هؤلاء كان عليه أن يوفر لهم العيش الكريم.

وفقر الأسرة دفع الطفل ليبيع القوارير، حتى ينضم إلى فئة المهمشين في الرواية، يقول الكاتب تحت عنوان بائع القوارير **"الطفل.. وقد مسح دموعه يرد بصوت مرتفع: منذ أن فتحت عيني، وعرفت هذه الحياة، ونحن نعيش في شقاء وألم وفقر، لم يشعر بنا أحد، أو يتعاطف معنا أحد، كنت في الثامنة من عمري عندما بدأت أشعر بحجم التعب والإرهاق الذي يعاني منه أبي وأمي، لقد كانا يتعبان في العمل من أجلنا، وكانت مصروفاتنا على قدر ما يكسبانه، أمي كانت عاملة منزلية في أكثر من بيت، أحد المنازل تعمل على تنظيفه وكنسه، ومنزل آخر تعمل فيه طباخة لطعام الغداء، ومنزل ثالث تغسل فيه الملابس، وكانت تجمع من هذا العمل القليل من النقود، أبي كان يشقى هو أيضًا كعامل مع أحد مقاولي البناء"** (زايد، ٢٠٠٦، ص١٤٦).

لقد قُبض على الطفل المهمش/ بائع القوارير، ومَثَل أمام الأخصائي الاجتماعي، أو بالأحرى وقف الهامش أمام المركز، والأخصائي يسأل، والطفل يجيب، لكن المهمش كشف عن مأساته، وعن مأساة أسرة بكاملها، تعاني الفقر، وتقاسي العوز، لتصبح أسرة مهمشة، تعيش في العتمة، بعيدًا عن الأضواء، لكنَّ الطفل دفع الأخصائي/ المركز إلى التعاطف معه، ومنحه مبلغًا من ماله الخاص، وأطلق سراحه.

والاختلاف العقدي أدَّى إلى تهميش جاسم **"أيضًا من الذكريات التي مازالت عالقة في ذاكرتي ما كان يعانيه جاسم من قسوتنا جميعًا في التعامل معه لدرجة أنه يتناول طعامه منفردًا، وكأنه مريض بمرض معدٍّ، وكانت هناك تحذيرات متوالية ومتواصلة بعدم الاقتراب من جاسم، أو الحديث معه، ذلك أنه يعتنق مذهبًا دينيًّا مختلفًا عن مذهبنا"** (زايد، ٢٠٠٦، ص٨٣).

والأب/ السارد يعود بذاكرته عبر زمن الاسترجاع، أو التداعي الحرّ، فيعود إلى حرب ١٩٤٨، حيث اجتمعت الجيوش العربية للحرب على أرض فلسطين، و"جاسم" جندي في أرض المعركة، يعتنق المذهب الشيعي، وكل مَنْ معه سنيّ المذهب، ومن هنا فقد همشَّه السنيُّون، ونبذوه وعزلوه، فلا اقتراب منه في مأكل، أو مشرب، أو مسكن، والتفرقة في الدين، لا تختلف عن عنصرية القبيلة.

ولا يختلف العامل الثقافي عن العامل الاجتماعي، والسياسي، والديني في تهميش الشخصية، "فياسر" يُهمش بسبب أفكاره المتحررة **"كان ياسر صاحب رأي، ويعتبر نفسه حرًّا في آرائه، ولطالما قال: إن الله خلقني حرًّا، ولم أكن في يوم عبدًا عند أحد، وإن الإنسان الحر هو من يصدح برأيه دون تردد أو خوف... مرة سمعت من يقول، وهو يشير إلى ياسر: لا بدَّ من تطهير الجبهة الداخلية من الطابور الخامس، ومرة شاهدت من يبصق في وجهه، ويصفه بالعميل، تعالت الرغبات، وتحولت إلى فعل صارم ضد صديقي ياسر، الذي تم وصفه بالجاسوس"** (زايد، ٢٠٠٦، ص٧٩).

لقد كان رأيه سببًا في تهميشه، إنه كان يقاتل بحماس، ويحرص على قتل اليهود، لكنَّه كان يبرر احتلال اليهود لفلسطين؛ لأنه شعب مشرد ومضطهد، وأنهم قاموا بشراء بعض الأراضي، وتبقى المشكلة عند ياسر في المخطط الصهيوني الذي كان له أهداف أخرى تقوم على إلغاء الآخر/ الأصليين للبلاد، وكأنَّ "ياسرًا" يعبر عن أفكار الكاتب المتمثل في حلّ الدولتين، ويعيش اليهودي والفلسطيني جنبًا إلى جنب.

وعلى أية حال فإن هذه الأفكار، لم تَلْقَ قبولًا من رفقاء السلاح، فقد همشوه، وساموه الخسف والعذاب، والذل والهوان، وكل ضربة تُوجه إلى الجيش العربي، أو أية خسارة، يكون ياسر الشماعة التي يعلقون عليها الفشل والخيبة، فالأفكار الشيطانية سبب الهزيمة، وانتهي الأمر باختفاء "ياسر"، وفسَّر الجميع سبب اختفائه أنه قد قُتل، أو أُسر، لكنَّ السارد كان له تفسير آخر، فقد رأى أن ياسرا تمَّ التخلص منه، ولِمَ لا وقد حكم عليه رفاق السلاح بأنه جاسوس، ومن الطابور الخامس/ الجواسيس، ومهما يكن من أمر فإنَّ للحرب "سلطة وسطوة على الشخصيات الروائية، فتحكمت بمصير الشخصيات، مما جعل منها حاجزًا أمام تحقيق الأحلام والطموحات التي يرغب الإنسان بتحقيقها" (عليوي، ٢٠٢٠، ص٩٢).

والأفكار التحررية همَّشت بطل القصة "حمدًا" أيضًا، يحكي في نهاية الرواية: **"فنحن نبغض في الله، نحب في الله، ونشهد الله أننا كارهون لك، ولما تكتبه، وما تقوله من آراء لا ترضي أحدًا، انظر جيدًا في عمرك وسنواتك إنك على مشارف الأربعين من عمرك، وقد سخرتها لمحاربة ثوابت مجتمعك والحط من قيمنا وعادتنا**

**وتقاليدنا، جميع من نعرف لا يذكرونك بخير، إنك إنسان فاسد في المجتمع، ولو كان الأمر لنا لتبرأ حتى أبونا منك، لكنه مع الأسف لم يفعلها، أما نحن فبراء منك ومن أُخوتك، ونعدك ميتًا"** (زايد، ٢٠٠٦، ص١٥٣).

لقد حاول "حمد" جاهدًا أن يقنع إخوته بوجهة نظره، ولكن كل محاولته باءت بالفشل، إنه كتب مقالًا من ألفي كلمة، لكنهم ووضعوا أيديهم على فكرة، كُتبت في سطرين، وربما قاموا بتشويه الفكرة، والفكرة ببساطة أن المرأة تعاني في فضيلتها وخطيئتها، فلا مساواة ولا عدالة، سواء أكانت محسنة أم مذنبة، وضرب "حمد" مثالًا بالشباب الذين يجوبون شرقًا وغربًا بحثًا عن اللذة والمتعة، ويعودون مظفرين، بينما قد تنتهي حياة فتاة غرر بها شاب.

إن هذه الفكرة في مقال، أدَّت إلى تهميش "حمد"، وجعلته شخصية منبوذة من أقرب الناس إليه، لدرجة أنهم تركوه في حالة إغماء في المستشفى، وعندما فاق من غيبوبته بعد أيام لم يجد أحدًا حوله.

**ب- الشخصية المركزية**

تستمد الشخصية المركزية قوتها من هيمنتها وسطوتها على الهامش، وإحساسها بالتعالي والفوقية على الآخر الذي عمل على قمعه، بشتى الوسائل، ومختلف الطرق، ليبقى أطول مدة ممكنة (عليوي ٢٠٢٠، ص٨٨).

وليست المركزية، تتمثل دائمًا في الظلم والاستبداد، فقد يستمد الشخص مركزيته من وضعه الاقتصادي، أو نفوذه السياسي، والقدرة على حفظ الأمن، والمحافظة على النظام.

وجَدُّ "حمد" استمد مركزيته من الوضع الاقتصادي، يحكي الأب/ السارد عن والده **"لكنني عندما كبرت وبدأت أدرك تأكدت من الحقائق الغائبة أو المغيبة؛ فأبي الذي توفي قبل ولادتي ترك إرثًا كبيرًا من الأراضي الزراعية والأنعام والمواشي"** (زايد، ٢٠٠٦، ص١٩).

فالوالد الأكبر كان يمتلك المزارع والأنعام والمواشي، والملكية وردت في النسق السردي بصيغ الجمع، والتعبير اللغوي يدل دلالة واضحة على مركزية الرجل التي استمدها من الوضع الاقتصادي، وكان من المفترض أن تنتقل المركزية إلى جميع الأبناء، بينما الابن الأكبر، استأثر بالمركزية دون غيره، وهمَّش أخاه الأصغر، وتحول إلى ظالم مستبد.

وتتجلَّى مركزية الأخ الأكبر في أكثر من موضع من خلال سرد الأخ الأصغر: **"فأنا أنظر لأخي الكبير نظرة الابن لأبيه.. وهو ينظر لي نظرة العامل الذي يؤدي عملًا محددًا، ولا بدَّ أن يأتي يوم يُطلب منه الرحيل"** (زايد، ٢٠٠٦، ص٢٠،٢١).

إن السرد يصور الشخصية المركزية في قمة استبدادها، ومنتهى ظلمها، فالأخ الأصغر، لم يَرَ والده، فقد مات وهو صغير، فاستمد الأكبر مركزيته من مركزية الأب، ولكنَّه لم يَحْنُ على الضعيف، لكنَّ إحساسه بالتعالي والفوقية، دفعه إلى ممارسة الهيمنة، وقمع الآخر/ الصغير، بل إلى تهميشه، وحرمانه من خيرات والده، أو من حقِّه المشروع.

وهذا المهمش، لم يَبْقَ في عتمة التهميش طول الوقت، لكنه عندما عمل جنديًّا، ادخرَّ مالًا، وتغير وضعه، فحنَّ إلى أرض أبيه، فقرر العودة إلى مكان النشأة، لكنه لم يجد أخاه/ المركز، فقد فتك به، وزوجه الوباء، لكنه باع الأرض قبل موته، فما كان أمام العائد إلا أن يسترد أرض أبيه، ويعيش **"الآن عهدًا زاهرًا من حياتي حيث استعدت الأراضي كاملة، وبقي معي بعض المال، فاشتريت ماشية، وأبقارًا للحرث، الأمر الذي ساعدني في استصلاح الأراضي، وإعادة زراعتها"** (زايد، ٢٠٠٦، ص٩٤).

إن الوظيفة في الجيش كانت سببًا في أن يتحول السارد من الهامش إلى المركز، وتجلَّت المركزية ونشأت من الوضع الاقتصادي الجديد، فأصبح مالكًا لأرض أبيه، وليس وارثًا، فقد امتلك بكد اليد، وعرق الجبين.

والقبيلة تمثل سلطة مركزية، لكن السارد –الذي يعبر عن أفكار الكاتب– يراها سلطة ظالمة "**ففي الوقت الذي يحث فيه الإسلام على رعاية اليتيم، تسحق القبيلة الضعفاء والأيتام، وفي الوقت الذي يشدد فيه الإسلام على المساواة والعدالة، وأنه لا فرق بين عربي وغير العربي إلا بالتقوى، يقوم في القبيلة التمييز والعنصرية بشكل صارخ واضح لا يحتاج إلى جهد لاكتشافه**" (زايد، ٢٠٠٦، ص٣٤).

والقيادة في الجيش تستمد مركزيتها من صرامتها وتنفيذ القوانين، فالرقيب سلطة على من يتبعه من الجنود، فقد وقَّع عقابه على الجندي السارد، الذي غلبه النوم في إثناء الخدمة " **لكن تفكيري المتواصل في هذا الحلم منعني من أن أبدي أي عذر أو استرحام للرقيب، مما جعله يزداد غضبًا، ويأمر بحبسي مدة يومين**" (زايد، ٢٠٠٦، ص٤٤).

إن السلطة العسكرية، هي سلطة مركزية، لا يمكن أن تتسامح في تطبيق القانون، فالمخطئ لا بد أن ينال جزاءه، حتى لا تنفلت الأمور في معسكرات الجيش، وتتحول الحياة العسكرية إلى فوضى، فمن أهم ما تتسم به الجندية الالتزام والانضباط.

والضابط في المعسكر، يمثل سلطة مركزية، فهو من أهم الشخصيات في المعسكر، ويصور مركزيته المقتبس الآتي: "**إننا بصدد مقابلة أحد كبار القادة العسكريين في المنطقة، حقيقة بدأت أرتجف ويتصبب العرق من جبيني، وعندما أصبحنا أمام طاولة المكتب ألقينا التحية العسكرية، حيث كان يجلس ضابط بنجمة واحدة... سيصل أخوه بعد شهر، ويلتمس أن نلحقه جنديًّا معه**" (زايد، ٢٠٠٦، ص٤٩).

فالسارد/ الجندي طلب من الرقيب رئيسه المباشر، أن يتوسط له عند الضابط القائد/ المركز، كي يُلحق أخاه معه بالخدمة في الجيش، لكنَّه قُتل في الطريق، إن أداء التحية العسكرية، وارتجاف أوصال الجندي، وتصبب العرق منه، دليل على مركزية القائد.

وتحت عنوان سلطة شرفية، وسلطة حقيقية، صور الكاتب مركزية السلطة الدينية "**تم منحهم سلطة شرفية، وأخرى حقيقية، أما السلطة الشرفية، فهي التبجيل والاحترام والإصغاء والطاعة العمياء، وكأن كلماتهم معين صافٍ من الفردوس، أما السلطة الحقيقية، فهي ماثلة في تسنهم عددًا من المناصب القيادية في عدد من**

**الجهات الحكومية، وليست الدوائر أو المرجعيات الحكومية الدينية وحسب، وإنما في مواقع أخرى حياتية دنيوية**" (السابق، ص١٢٩).

وسطوة السلطة الدينية، لم تكن وليدة العصر الحديث، بل هي سلطة قديمة منذ العصر العباسي، فقد كانت سلطة الفقهاء، مماثلة لسطلة الخلفاء، وقد انتهي أمر هذا التنافس بين السلطتين إلى عقد نوع من التحالف والتآلف بينهما (علَّال، ٢٠٢٢، ص٥٧)، والسلطة الدينية، تشعر بأنها تستمد وجودها من الآخر، فلا بد من وجود الآخر، لتستشهد السلطة الدينية على وجودها من وجوده (حسونة، ٢٠١٤، ص٨٧).

كان واضحًا هنا أن السارد "حمد" الصحفي صاحب الأفكار الليبرالية – في عرف إخوته- حولته أفكاره إلى مهمش، أو بالأحرى منبوذ، فهو بلا شك لا ينسجم مع السلطة الدينية، فجاء وصفه معبرًا عن مركزيتها، وسطوتها في المجتمع.

**خاتمة:**

وبعد هذا التطواف في الرواية محل الدراسة، وجد البحث أن ثنائية المركز والهامش التي اتجه لمعالجتها كانت الموضوع الأساس لهذه الرواية، منذ عنوانها إلى الحدث الأخير الذي عاد ببطلها إلى الهامش مرة أخرى، وكان البحث في كل مباحثه يحاول الإجابة عن أسئلته التي طرحها في مقدمته، ليصل إلى النتائج الآتية:

- سيطر المركز على الهامش بكل أنواعه الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية.
- انفتحت الرواية على الهامش، واستجلت صوره في المجتمع السعودي القديم، لتمايز بالمقابلة بين المركز والهامش في العديد من المشاهد المجتمعية.
- معظم شخصيات الرواية، كانت تعاني الفقد والاستلاب في الزمن الحكائي الذي اختاره الكاتب.
- تجرَّد الإنسان الهامشي من إرادته، لتصبح في يد غيره ممكن يعيش في المركز.
- عانت المرأة التهميش، كما عانى الرجل ومن ذات المركز.
- لم تتوقف ثنائية المركز والهامش على الشخصية، بل امتدت إلى النص الموازي والمكان والزمان.

**المصادر والمراجع:**

ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر بن محمد (د.ت). المثل الثائر. تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة. دار نهضة مصر، القاهرة.

إسماعيل، أبكر آدم (٢٠١٦). جدلية المركز والهامش قراءة جديدة في دفاتر الصراع في السودان. معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية. جامعة الخرطوم. السودان.

إفرخاس، محمد (٢٠١١). سيكولوجية الشَّخصيَّة بين تنمية الأبناء وبناء المجتمع. دار نينوى. دمشق.

بحراوي، حسن (١٩٩٠). التشكيل الروائي" الفضاء- الزمن- الشخصية". ط١. المركز الثقافي العربي، بيروت.

بلعابد، عبد الحق (٢٠٠٨). عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص. ط١. منشورات الاختلاف، الجزائر- الدار العربية للعلوم. بيروت.

بوقرة، نعمان عبد الحميد (٢٠٠٩). بناء الشخصية ووظائفها دراسة سيميائية في "جدارية لا تصحو" للكاتبة الجزائرية عمارة كحلي. مجلة وج. ع١٢. نادي الطائف الأدبي. السعودية.

توفيق، مجدي أحمد (٢٠٠٦). أدب المهمشين. مجلة حزب التجمع التقدمي الوحدوي. ع٢٤٦. القاهرة.

جغام، ليلى (٢٠١١فبراير). وصف التجربة الشعرية للشاعر رضا ديداني ممثل أدباء الهامش في الجزائر. مقال منشور في ندوات المخبر. جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر.

جيجخ، صورية (٢٠١٥-٢٠١٦). "المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي". رسالة دكتوراه. كلية الآداب واللغات. جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر.

الحاني، ريمة (٢٠١١/٩/١٧). الروائي السعودي عبد الله زايد. مجلة فرسان الثقافة.

حسن، سليمان (١٩٩٩). مضمرات النص والخطاب. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق.

حسونة، محمد (٢حزيران ٢٠١٤). تقنية الهامش في رواية خضر محجز "عين اسفينه" إرادة القوة، الهوية، والليبيدو. مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، ع٣٣. فلسطين.

الحلبي، شهاب الدين محمود (١٩٨٠). حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة، بغداد.

زايد، عبد الله (٢٠٠٦). المنبوذ. ط١. الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت.

صالح، فرحان (١٩٨٨). هموم الثقافة العربية. ط١. دار الحداثة. بيروت.

صباحي، حميدة (٢٠٢٠). قراءة تأويلية في شعر عثمان لوصيف بين المركز والهامش. مجلة المخبر. جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

علَّال، آيت العسري عادل (آزار ٢٠٢٢). الأدباء بين الاختفاء والتهميش مقاربة سوسيولوجية لعوامل النجاح والفشل في الأدب القديم. مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية. مج٤. ع٥٩. فلسطين.

بن علوش، سامية (٢٠٢٠). قراءة في نصوص سرادق الحلم والفجيعة. منشورات مخبر تحليل الخطاب. ع٢. جامعة مولود معمري، الجزائر.

عليوي، حوراء عزيز (٢٠٢٠ /٩/٢٧). المركز والهامش في رواية "حدائق الرئيس للروائي محسن الرملي. مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية. مج٨٤. ع١٠٢. جامعة تكريت. العراق.

العيد، يمنى (٢٠١٠). تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط١، دار الفارابي، بيروت.

غيث، محمد عاطف (د.ت). قاموس علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

الفريدي، عبد الله على الفريدي (٢٠٢٢). صورة الهامش في الرواية السعودية وفق منظور البنيوية التكونية. مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية. ع٢٩. السعودية.

الفيروزآبادي، محمد بن إبراهيم (١٩٩٩). القاموس المحيط. دار الكتب العلمية. بيروت.

قطناني، خليل (٢٠١٩). عتبة الهامش وفاعلية الخطاب السردي في رواية "برقوق نيسان" للكاتب غسان كنفاني. مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية. مج٣٣. ع١. فلسطين.

الكردي، عبد الرحيم (١٩٨٦). الراوي والنص القصصي. ط٢. دار النشر للجامعات. القاهرة.

لحمداني، حميد(شوال١٤٢٣). عتبات النص الأدبي" بحث نظري". مجلة علامات في النقد. مج١٢. ع٤٨. النادي الأدبي بجدة. السعودية.

لعلي، سعادة (٢٠١١). أدب الهامش نغمة للغناء وأخرى للبكاء. مقال منشور في مجلة المخبر. جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

المالكي، دلال بنت بندر(أغسطس٢٠٢١). الشخصية المهمشة وتشكلات الفضاء الروائي في رواية هدى بركات "بريد الليل. مجلة علوم اللغات وآدابها. ع٢٨. جامعة أم القرى، السعودية.

مان، ميشيل (١٩٩٩). موسوعة العلوم الاجتماعية. ترجمة: عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز مصلوح. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

محجز، خضر (٢٠١٤). تقنيات السرد الروائي محتوى الشكل وأنماط الراوي. ط١. عطية للنشر والتوزيع، غزة.

مرتاض، عبد الملك (١٩٩٨). في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد. سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (١٩٩٤). لسان العرب. ط٣. دار صادر. بيروت.

هامون، فليب (١٩٩٠). سيميولوجية الشخصيات الروائية. ترجمة: سعيد بنكراد. دار الكلام. الرباط.

هذيلي، علي حسن (٢٠٢١). رواية "مدونات الضمير أنا" لسعدون محمد الضمد، مقاربة نقدية في المتن والهامش. مجلة آداب ذي قار. مج٣٦. العراق.

هلال، علي الدين– مطر، جميل (٢٠٠١). النظام الإقليمي العربي دراسة في العلاقات السياسية العربية. مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة.